شرح كشف الشبهات

الدرس ٣

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد..

اليوم معنا المجلس الثالث من مجالس شرح كشف الشبهات، ويبدأ المؤلف بذكر أجوبة الشبهات حول مسائل التوحيد؛ الشبهات التي كان يذكرها المشركون عبدة الأوثان، عبدة القبور؛ ذكروا شبهات وبدأ المؤلف رحمه الله بردها؛ فهو يعلمك الآن كيف ترد الشبهات ويبين لك أنّ الله سبحانه وتعالى قد بين في كتابه كل شيء وما أبقى على شبهة ترد على مسائل التوحيد؛ إلا وفندها والحمد لله.

يريد أن يذكر لك الآن جوايب:

جواباً مجملًا ينطبق على كل الشبهات- جميع الشبهات-، ولا يتعلق بمسألة دون أخرى أو شبهة دون أخرى؛ بل هو رد ترد به على كل شبهة ترد عليك؛ سواء كانت في التوحيد أو في غيره من مسائل العلم الشرعي التي فيها نصوص محكمة، ما عليك فقط إلا أن تعرف المحكم، تعرف الصواب بأدلتها بالكتاب والسنة، وتعرف ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم في المسألة العلمية الشرعية؛ فقط، ثم بعد ذلك أي شبهة ترد عليك من أي شخص مخالف؛ مباشرة ترد عليه بهذا الرد الذي سيذكره لك؛ وهو الرد المجمل.

أمّا الرد المفصل؛ فهو الذي يتعلق بكل شبهة- يعني خاصة-، وردّ كل شبهة يكون خاصاً بها.

قال: **(فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين؛ مُجْمَلٍ ومُفَصَّلٍ، أمّا المُجْمَلُ؛ فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة؛ لمن عقّلها)**

يعني فهمها.

قال: **{وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} (١)}**

يعني: أيّ شبهة ترد عليك؛ تجيب عنها بهذه الآية؛ ما معنى هذه الآية؟

معناها: أنّ نصوص الشريعة من القرآن والسنة تنقسم الى قسمين؛ قسم منها أدلة محكمة، وقسم أدلة متشابهة، وقد فصلنا القول في هذا في شرحنا على "لمعة الاعتقاد"، وذكرنا المحكم والمتشابه والتفصيل كاملاً هناك، وقد ذكرت لكم أن هذه الدروس ستكون مبنية على دروس سابقة؛ سواء كانت في مسائل التوحيد أو في مسائل العقيدة التي درستوها في السابق؛ إذا هنا ترجع في تفصيل هذه المسألة إلى شرحي على "لمعة الاعتقاد"؛ هناك تفصيل يناسب الطالب المبتدئ؛ لكن الآن سنذكر ما يناسبكم أتم.

الجواب على أيّ شبهة ترد عليك؛ تردّها بهذا، إذا ذكرت لك شبهة، وما عرفت جوابها ماذا تقول؟

أقول عندي شيء محكم؛ أدلة محكمة بنيت عليها عقيدتي وبنيت عليها ديني، وهذا الشيء المحكم أدلته واضحة وصریحة؛ وهي التي بيّنها المؤلف في السابق في مقدمة الكتاب، بيّن لك ما هو التوحيد وما هو الشرك، وبيّن لك الشرك الذي كان عليه مشركو قريش، وبيّن لك أنّ توحيد الربوبية وحده غير كافٍ؛ وقد كان محققاً عند كفار قريش، وأنّ شركهم كان في توحيد العبادة، ولا يكون العبد موحداً حتى يوجد في جميع أنواع التوحيد ولا يشرك

في شيءٍ منها، وأنَّ كفار قريش كانوا يعبدون الأوثان؛ يبتغون شفاعتها عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا كله قد بيَّنه لك وبينَّ لك حكمه.

إذاً هذه كلها ذكرها لك بأدلتها؛ فهي محكمات، فإذا أورد عليك أحدٌ أيَّ شبهة بعد ذلك حول هذا الأمر؛ فتقول له: عندي أدلة محكمة ومسائل بيَّنة؛ فأنا أدين الله سبحانه وتعالى بها، أمَّا ما ذكرت أنت؛ فهذا إذا كان عندك جوابٌ خاصٌّ به تجيب، وإذا لم يكن عندك جواب خاص، لا تعلم؛ فنقول: نرد المتشابه إلى المحكم؛ لأن هذا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ ذكر لنا أن هذا الكتاب { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ }؛ وهي التي لا تدل إلا على معنى واحد؛ ليس فيها اشتباه ولا تلتبس عليك، آيات محكمات؛ يعني واضحة بيَّنة لا تُعطي إلا معنى واحداً؛ فقال في كتابه: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ } وواضحات الدلالة، صريحات لا يعطين إلا معنى واحداً؛ ليس فيهن لبس أبداً، ثم قال: { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } أي: أصل الكتاب؛ يعني: هن الأصل الذي تبني عليه دينك وتعتمده، هن أصل الكتاب، يُرَدُّ إليهن كل شيء.

{ وَأُخْرٌ مُّتَشَابِهَاتٌ } يعني تشبته؛ تعطي أكثر من معنى؛ فيلتبس الأمر على البعض.

قال: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ }؛ إذاً عندما تأخذ أنت بالمتشابه تكون ممن؟ قال: تكون ممن في قلبه زيغ؛ لأن الذي يتمسك بالمتشابه وبالمتشابهات ويترك المحكمات؛ هذا الذي في قلبه زيغ كما قال الله سبحانه وتعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } إذاً هذه علامة، مَنْ تمسك بالمتشابه وترك المحكم؛ ففي قلبه زيغ، إذاً هو من أهل الضلال والانحراف عن الحق؛ لأنه ترك المحكمات وتمسك بالمتشابهات، فأظهر لنا حقيقة ما في نفسه من زيغ.

{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} الراسخون في العلم يؤمنون بهذا وبهذا؛ لكنهم يجعلون المحكم هو الأصل ويردُّون المتشابه إليه؛ لأنه يقول: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} فيؤمنون بالجميع؛ ولكنهم يجعلون المحكم هو الأصل ويردُّون المتشابه إليه، ويفهمونه بناءً عليه؛ لأنَّ كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة النبي ﷺ لا تتعارض؛ كلها خارجة من حكيمٍ عليمٍ فلا يمكن أن تتعارض؛ إنما التعارض يكون في أفهامنا، فنحن نُوجِّه المتشابه هذا ونفهمه بناءً على المحكم؛ فنجعله يتوافق معه في فهمنا.

فإذاً طريقة الراسخين في العلم - والواجب - هو رد المتشابه إلى المحكم وليس العكس؛ العكس يفعلُه أهل البدع الذين في قلوبهم زيغ، فعندما يطرح عليك شبهة؛ تقول له عندي المحكمات واضحات وأدلة واضحة وصریحة، وديني مبني على ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، وشبهتك هذه التي ذكرت تُردُّ إلى هذا المحكم، استطعت أنت أن تُردِّها وتبين له المعنى الصحيح فالحمد لله، ما استطاعت؛ فقل له هذا عندي أمر راسخ، وهذا المتشابه يُردُّ إلى المحكم، أمَّا الكيفية فالله أعلم؛ يعلمها أهل العلم؛ فقط هذا هو الرد، هذه قاعدة عامة تأخذها في كل أمور الشريعة، واجبك أن تتعلم فقط الأصول الصحيحة والعقيدة السليمة وما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم من ذلك، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة المحكمة؛ فقط وبعد هذا ينتهي الأمر.

قال: (وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمِيَ اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ" ^(١))

١- أخرجه البخاري(٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.

احذروا مَنْ؟ احذروا الأقوال أم احذروا الأقوال وأصحاب الأقوال؟ قال فاحذروهم؛ أي أصحاب الأقوال؛ احذروا مِنْ قولهم؛ لأنهم تَمَسَّكُوا بالمتشابه وتركوا المحكم، واحذروا من الأشخاص أنفسهم.

وهذا ردٌّ على الذين يقولون حَذِرْ من القول ولا تُحَذِرْ من القائل؛ هذا قولٌ باطل لأن هذا القائل في قلبه مرض، في قلبه زيغ أبان لنا عنه بماذا؟ باتباعه للمتشابه، فلما اتبع المتشابه؛ علمنا أنّ في قلبه زيغاً، علمنا ذلك؛ فلذلك الآن هو لن يقتصر على شبهة أو شبهتين أو ثلاث عندما يطلقها؛ فأنت تُحَذِرْ من هذا القول، ثم بعد ذلك تريد أن تتابع معه أربعة وعشرين ساعة حتى تعرف الأقوال الأخرى التي ذكرها، انتهى؛ قد أبان لك عن عورته، فضح نفسه؛ فمثل هذا تُحَذِرْ منه وينتهي أمره، ولا تتابع أربعة وعشرين ساعة ما الذي يقوله حتى تقول: أترك هذا وخذ هذا، دعك من كذا وأمسك كذا؛ هذا لا يصلح، ما هكذا كان الأمر؛ خلاص دعه وليسلم لك دينك، ثم خذ من أهل الصفاء؛ من أهل العقيدة السليمة، من أصحاب العقيدة الصحيحة، من أهل الحق؛ هكذا كان السلف رضي الله عنهم يفعلون؛ لذلك اتفقوا على هجر أهل البدع وعدم الأخذ عنهم بإجماعهم؛ وإنما حصلت الميوعة وحصل تلبيس الحق بالباطل وخلط الأمور ببعضها عند المتأخرين؛ أما السلف فما كان عندهم هذا.

قال: (مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ^(١)، وَأَنَّ الشُّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاءَةٌ عِنْدَ اللَّهِ)

الآن هذا مثال على شبهة يطرحها البعض، كيف تتعامل معها أنت من خلال المحكم والمتشابه؛ فقال: مثال ذلك إذا قال لك بعض المشركين: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، هذه الآية تدل على فضل أولياء الله، ومن هم الأولياء؟ هم: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}؛ كما جاء في الآية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} هذا هو الولي؛ المؤمن التقى الصالح الذي يفعل الواجبات ويترك المحرمات ويتضرع إلى ربه تبارك وتعالى.

قال: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} على ماذا تدل هذه الآية؟ تدل على فضل الأولياء، هم أصحاب فضل ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قالوا: (إنَّ الشفاعة حق؛ هذا مقرر) إذاً الأولياء لهم فضل ولهم مكانة والشفاعة حق وإنَّ الأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ إذاً ما النتيجة الذي يريد أن يصل إليها؟

إذاً نحن نرجوهم ونتضرع إليهم ونعبدهم من أجل أن يشفعوا لنا؛ هذا الذي يريده من هذه الشبهة التي ذكرها، إذا كانت الشفاعة حقاً وكان الأولياء بالمنزلة التي ذكرت، والأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ وهذا أمر لا يَنَازَعُ فيه؛ إذن النتيجة أننا نعبدهم كي يشفعوا لنا عند الله؛ هذا الذي يريد أن يصل إليه؛ هذه شبهة يلقيها لك؛ فكيف ترد؟

إذا عرفت كيف ترد بالتفصيل؛ فالحمد لله، كيف ترد؟ نرد نقول له: نعم هذا حق؛ ما ذكرته في المقدمة حق: أنَّ أولياء الله سبحانه وتعالى لهم فضل، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأنَّ الشفاعة حق، وأنَّ الأنبياء لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا كله حق، لكن النتيجة التي خرجت بها باطلة فاسدة؛ فلا يلزم من كون أولياء الله سبحانه وتعالى أصحاب فضل وأصحاب مكانة ولهم جاه: أن نعبدهم وأن نتقرب إليهم وأن ندعوهم ونرجوهم ونخافهم، لا يلزم هذا؛ هذا باطل؛ فهذا ما كان يفعله كفار قريش، وبهذا أخذوا، وأنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك، وقتلهم النبي ﷺ لتركه؛ فكيف تجعل هذا لازماً لهذا؟ هذا ليس بلازم.

إذاً نقول: نعم كل هذا حق؛ ولكن ليس فيه دليل على أن نشرك بهؤلاء الأولياء أو بهؤلاء الرسل أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله سبحانه وتعالى، ودعواك أن هذا يدل على ذلك؛ دعوة باطلة لا يحتج بها إلا مبطل، وما أنت إلا من الذين قال الله عز وجل فيهم {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}؛ فواجبك أن ترد هذا المتشابه الى المحكم، ولو فعلت ذلك؛ لاعتقدت العقيدة الصحيحة وما وقعت في الشرك.

قال: **(أو ذَكَرْ كَلَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ)**

يعني حتى لو ذكر لك حديثاً عن النبي ﷺ، وهو يريد أن يستدل به على جواز عبادة الأولياء.

قال: **(وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ)**

لا تعرف كيف توجه هذا الكلام الذي ذكره، لكنك تعرف بناءً على ما درست وتعلمت من العقيدة الصحيحة ومن الأدلة المحكمة أن كلامه باطل؛ لكن ما تستطيع أن توجه الأدلة التي ذكرها؛ كيف تفهمها؟

قال: **(فجاوبه بقولك: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ وَمَا ذَكَرْتَهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَقْرُونَ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ يَتَعَلَّقُهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، مَعَ قَوْلِهِمْ {هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (١)؛ هذا أمرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ)**

يعني هذا المحكم المقرر عندك أنت، والثابت؛ وهو أن المشركين كانوا يقرؤون بالربوبية، كما أنت أيها المشرك يا من تستدل بهذه الأدلة مُقَرَّرَ الآن بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء- وهو كفر المشركين- وكانوا يقولون {هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}؛ كانوا

يعبدونهم لهذا، وأنت تقرر نفس ما كانوا يقررونه بالضبط؛ لكن هذا عندنا نحن أمرٌ محكم لا يقدر أحد أن يغيّر معناه.

قال: **(وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ؛ لا أعرف معناه)**

أي: أنا لا أعرف كيف أردّ عليك؛ ما أعرف ما المعنى المقصود الصحيح من هذه الآية وهذا الحديث النبوي؛ لذلك لا أعرف كيف أرد عليك شبهتك هذه.

قال: **(لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض)**

لا شك؛ كلام الله لا يتناقض، وما ذكرت أنت مثلاً من الآية: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}؛ هذا حق ما عندنا إشكال فيه، وكلام الله لا يتناقض، وعندما نهانا الله سبحانه وتعالى عن عبادة الأوثان بجميع أصنافها؛ لا يتناقض هذا مع قوله: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

قال: **(وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله)**

أبداً؛ كله حق، وكله خارج من مشكاة واحدة، كله وحي من الله سبحانه وتعالى؛ فأنا أو من بهذا، لكن المعنى الذي أنت تستدلّ به؛ باطل عندي يقيناً، وليس عندي شك في بطلانه؛ لأنه مخالف للمحكم الذي نعرفه؛ وهذا الجواب طيب.

قال: **(وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ)**

كافٍ؛ ما تحتاج إلى زيادة، طيب جداً.

قال: **(ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله)**

يعني: هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله؛ فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات.

قال: **(فلا تستهن به)**

هو جواب قوي وكاف؛ لكن ليس الكل يفهم هذا.

قال: **(فإنه كما قال تعالى: {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}{^(١))**

يعني الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى الفهم السليم؛ هو هذا صاحب الحظ العظيم عند الله سبحانه وتعالى؛ هذا الجواب المجمل على الشبهة المطروحة.

طبعاً نحن أيضاً عندنا جواب مفصل عن الآية التي ذكرها {إِنَّا إِنَّا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}؛ هذا الجواب عليه ما ذكرنا: نعم هذه الآية تثبت فضيلة الأولياء- أولياء الله سبحانه وتعالى-، وهذا أمر لا يناقش فيه اثنان: أن الولي إذا حقق الولاية بالفعل وأتى بأسبابها، وكان من المتقين ومن الصالحين؛ أن هذا الولي له مكانة عند الله سبحانه وتعالى وله فضل؛ نحن نعلم هذا ولا ننكره؛ فنقول: أولياء الله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم من عقاب الله تبارك وتعالى، ولا هم يجزون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا؛ هذا معنى الآية؛ إذا لهم مكانة لهم منزلة عند الله سبحانه وتعالى لهم فضل؟ نعم؛ لكن هل في الآية دليل على أننا نعبدهم ونتقرب إليهم من أجل أن يشفعوا لنا؟

ليس في الآية دليل على ذلك؛ بل نحن نُهينا عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى، والشفاعة نطلبها من مالكتها؛ وهو الله سبحانه وتعالى، وقد بين الله سبحانه وتعالى لنا أن الشفاعة لله جميعاً، إذا تطلب مَن؟ من الله سبحانه وتعالى.

وَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ؟ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه؛ إذاً لا معبود بحقٍ إلا الله سبحانه وتعالى؛ يا خلاص، إذاً صرف العبادة يكون لله سبحانه وتعالى وحده؛ هكذا تنال الشفاعة عند الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الجواب المفصل في هذه الآية؛ الله سبحانه وتعالى بيّن لنا فضيلة الأولياء؛ لكنه لم يقل لنا أن نرجوهم وندعوهم ونتضرع اليهم ونخافهم وأن ندعوهم حتى يطلب الشفاعة، لم يقل لنا هذا؛ فهناك فرق بين الأول والثاني؛ لأن هذا الجزء الثاني منهي عنه، والجزء الأول الذي هو اعتقاد فضيلة الأولياء؛ هذا مأمور به؛ ليس فيه إشكال؛ هذا هو الفرق بين هذا وهذا. والله أعلم.

والدرس القادم نبدأ بالجواب المفصل إن شاء الله. والله أعلم.